جامعة قسنطينة

الآداب

مجلة ادبية فكرية تصدر عن معهد الآداب و اللغة العربية

العدد : 02

1416 هـ * 1995م

جامعة قسنطينة
معهد الآداب واللغة العربية

الآداب

مجلة أدبية فكرية تصدر عن معهد الآداب واللغة العربية .

المدير الشرفي : د . مراد بن صاري رئيس جامعة قسنطينة .
مدير المجلة مسؤول النشر : د. الأخضر عيكوس مدير المعهد
مدير التحرير : د . عمار زعموش

أمانة التحرير :
صالح خديش . حسن خليفة . عمر عيلان .

الهيئة العلمية :
د . آمنة بن مالك - د . الرشيد بوشعير - د . مختار بولعراوي
د . الربعي بن سلامة - د . عبد الله بوخلخال - د. الأخضر عيكوس
د . يحي الشيخ صالح - د . يوسف غيروة - د . عمار زعموش

---

* توجه المراسلات باسم : مدير المجلة، معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة طريق عين الباي، قسنطينة (25000) - الجمهورية الجزائرية .
الهاتف : 42.68.69(04)

*الآراء والمعلومات التي تنشر في المجلة تكون على عهدة أصحابها ومسؤولياتهم
* لاتلتزم المجلة بنشر كل مايصلها من بحوث ومقالات .
* يخضع ترتيب المقالات والبحوث المنشورة في المجلة إلى اعتبارات فنية .

ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي

بين القديم و الحديث

الدكتورة :
آمنة بن مالك
جامعة قسنطينة * الجزائر *

محتويات البحث

المقدمة : أسس الفهم النحوي عند العرب

الموضوع : ماهية التنغيم : لغة واصطلاحا

. بين النغمة و التنغيم

. بين التنغيم و النَّبر

. التنغيم في الدرس الصوتي

. عرض آراء الباحثين المحدثين (هزي فليش برجستراسر - بوكلمان) وتحليلها .

. تصور القدماء لهذه الظاهرة

. ابن جني ، سيبوية ، ابن يعيش .

. تصور المحدثين للتنغيم كملمح تميزي يقوم على أساسه فهم كثير من الأبواب و الأساليب النحوية كالندبة ، و الشرط ، و الاستفهام والتعجب .

(كمال بشر ، تمام حسان ،)

النتائج

المقدمـــة : أسس الفهـم النحـوي عنـد العـرب :

لقد أدرك النحاة العرب قصور فهمهم نحو العربية مالم يدرسوا أصواتها ، فكانت عنايتهم بطبيعة الصوت ، ومخارجه ، وجهاز نطقه وصفاته العامة و الخاصة وقوانينه ، فجاءوا بزاد وفير مائل في عشرات المصطلحات الصوتية التي تومئ الى جليل ما قدموا وعزيز ماخلفوا رغم شح الوسائل و الأجهزة في عصرهم إن لم نقل انعدامها .

وقد شهد لهم بذلك عالمان غربيان هما : برجستراسر الألماني ، وفيرت الانجليزي (1)

يقـــول الأول : لم يسبق الاروبيين في هذا العلم إلا قومان العرب و الهنود .

ويقول الثاني : إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما الهندية و العربية .

وعلى الرغم من هذا الاعتراف تصادفنا آراء انتقدية في مجال (التنغيم) عاب بها الداسون المحدثون خلو الدراسات الصوتية القديمة من مصطلح (التنغيم) وقد أهمله العلماء الأوائل ولم يستخدموه كوسيلة من وسائل الفهم النحوي .

فما مدى صدق هذه الانتقادات ؟ وهل لنا أن نساير هذا الزعم و الاقتراض ؟ ذلك مانحاول أن ندلو بدلونا فيه .

ماهيـــــة التنغيـــم :

التنغيم في اللغة : الكـلام الخفي . تقـول نغم ينغم نغما ، وسكت فلان فما نغم بحـرف وما تنغـم مثلـــه .

وفلان حسن النغمة ، إذا كان حسن الصوت فـي القراءة أو الغنـاء (2) .

---

1 - أحمد مختار عمر . البحث اللغوي عند العرب . مصر . دار المعارف . 1971 . ص . 48 .

2 - الجواهري الصاح . مادة : (نغم) .

وفـــي الاصطـــلاح : يعـرف التنغـيم بأنه المصطلح الصـوتي الدال على الارتفـاع ، والانخفاض فى درجة الجهر فى الكلام ،وهذا التغيير فى الدرجة يرجع إلى التغير فى نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين ،هذه الذبذبة التى تحدث نغمة موسيقية يطلق عليها مصطلح (التنغيم) (1)

وتسمى النغمة (صاعدة) إذا تم صعودها من أسفل إلى أعلى المقطع الذي وقع عليه النبر وهابطة إذا تم نزولها من أعلى إلى أسفل على آخر مقطع عليه النبر .

بـين النغمـــة والتنغـيم :

يفرق الدكتور أحمد مختار عمر بين النغمة والتنغيم باعتبار اختلاف درجة الصوت فيقول : وهناك نوعان من اختلاف درجة الصوت يمكن تميزهما :

أ- نوع يسـمى بالنغـمـة أو «التـون » (*TONE*) وهنا تقوم درجات الصـوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة ولذا نسمى توثان الكلمة .

ب - نوع يسـمى بالتنغـيم (*INTONTION*) وهنا تقوم درجات الصـوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة أو مجموعة الكلمات (2) .

وقد اقترح «دانيال جونز» استخدام المصطلـح «تونيم » لمجموعة التنوعـات أو « لعائلة التنوعات » التونية وكان ذلك عام 1921 وعرف التنويم بقوله: (هو عائلة من التونات في لغة تونية معينة تستخدم فى أغراض لغوية كما لوكانت سببا واحدا . والفرق بينهما يرجع إلى محيط آخر،ويسمى كل عضو من أعضاء التونيم (ألوتون)

وذلك على نمط تسـمـيـة العـائلة من الأصـوات (فـونيـم) ،كـل عـضـو من أعضـائه «ألـوفـون» (3) . ومايلاحظ أن الفصل بين التون والتنغيم يبدو صعبا فى بعض الأحيان وخصوصا فيما يتعلق بالكلمات المفردة التى تستعمل كجواب فى اللغة العربية مثل :أجل ،نعم، كما أن كل لغة لها بالنسبة لكل مجموعة من الكلمات أوالجمل نماذج من التنغيم متميزة.

---

1 - تمام حسان . مناهج البحث في اللغة . القاهرة . 1955 ص 164 .
2 - أحمد مختار عمر ، دارسة الصوت اللغوي . عالم الكتب . 1976 . ص 191
3 - نفسه . 194

وكما تتنوع اللغات ونماذجها يوجد تنوع بين الأفراد ولذلك يصبح قول ماريوباى:

أ - إنه من الأسلم ألايحاول المرء وضع قانون صارم يحد بطريقة النطق .

فالتنغيم إذن هو موسيقى الكلام (1) وهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات فى حدث كلامي معين (2) .

بيـن التنغيـم والنيـر :

يتضح من خلال هذه التعاريف أن التنغيم ذو صلة وثيقة بالنبر إلاأن الفرق بينهما يكمن فى أن النبر ضغط على الكلمة المفردة أو فى سياقها فى حين أن التنغيم تشكيل صوتى للجملة أوالعبارة كلها .

والرابط بين التنغيم والنبر يكمن في أن النبر وإن كان ضغطا على مقطع من مقاطع الكلمة فان حصيلة الأنبار تشكل (التنغيم)

لذا من باب المجاز نطلق مصطلح «التنغيم » على النبر وعلى كل ظاهرة صوتية يتشكل من مجموعها مايسمى بموسقي الكلام كالسكتة والوقفة وغيرهما (3) .

كما يعتبر من الفونيمات مافوق التركيب من ناحيـة فـونولوجية و (وظيفته) عنـد المحـدثين .

مشكلـة التنغيـم :

لقد ثار جدل حول المشتغلين بالبحث الصوتى حديثا مفاده هل التنغيم من الظواهر الصوتية التي اهتم بها علماء العرب القدامى ووجدت فى أبحاثهم ؟ وهل عززت هذه الدراسات بنصوص تؤكد وجود التنغيم ؟ ومامدى استخدامهم له فى الفهم النحوي ؟ وماراج من خلال طرح هذه المشكلة أن فريقا من الباحثين المحدثين أيد وجوده وأحسن الظن بهـم، وآخـر أنكر دراستهم لهـذه الظاهـرة الصوتيـة واتهمهـم

---

1 - ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية . ط : 5 ، مكتبة الأنجلو المصرية . 1975 . ص 123 .

2 - ماريوباي أميس علم اللغة . ترجمـة وتعلـيق أحـمد مختار عمر . ط : 2 القاهرة ، علم التب . 1983 . ص . 93 .

3 - نفسه . ص 93

بالإهمال لها [1] ولعل سر هذا الإهمال أن التنغيم ليس فونيما في اللغة العربية.

وقبل الشروع في معالجة معارف العرب في هذا المجال أجد لزاماأن نشير الى بعض آراء الباحثين المحدثين ممن عالجوا مسألة التنغيم في العربية لأقدام ماانتهت إليه الدراسة الصوتية في هذا المجال .

يتفق كثير من الدراسين على أن ظاهرة التنغيم باعتباره مظهرا صوتيا قاسم مشترك بين جميع لغات العالم ،ومن ثم فهو ظاهرة أدائية في اللغة العربية .

لكنه وإن كان في كثير من اللغات ذا ملمح تميزي يعطي قيما نحوية وصرفية ودلالية،فإنه في لغتنا العربية لا يعطي تأثيرا ما في هذه المستويات كما يرى هؤلاء الدراسون .وفي تأكيد هذه الرؤية نقدم هذه المقولات التي يقول هنزي فليش أن نبر الكلمة كان مجهولا تماما لدى اللغويين العرب ،لأنه لم نجد له اسما بين مصطلحاتهم [2] .

ويصرح بعض آخر : .

اننا نعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا الى ما يشبه النغمة [3] .

ويظن برجستراسر في كتابه التطور النحوي :

إنه لانص تستند عليه في اجابة مسألة كيف حال العربية في هذا الشأن ...ويؤيد بروكلمان وجود نوع من التنغيم يتمثل في نوع من النبر في العربية القديمة تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على تسمية المقطع نبر من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها ،حين تقابل مقطعا طويلا تقف عنده فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول [4] .

أما إنكار معرفة اللغويين العرب للنبر بادعاء جهلهم لمصطلحه على رأي فليش فإنه مردود بعدّهم الهمز والنبر شيئا واحدا دالا على الضغط ففي لسان العرب يوضح

---

1 - البحث اللغوي عند العرب . ص 90 .

2 - هنري فليش . العربية الفصحى . ص 49 .

3 - برجستراسر ، التطور النحوي للغة العربية . القاهرة . 1929 م ص 46 - 47

4 - ولفنسوب ، تاريخ اللغات السامية . بيروت ، دار القلم . ص 45 .

ابن منظور: الهمز بأنه الغمز والضغط ،ومنه الهمز من الكلام لانه يضغط .وفسر النبر بمعنى ارتفاع الصوت (1) أي مرادفا للهمز .

وعلى الرغم من أن قدامى اللغويين العرب لم يدركوا (النبر) لبعض الضغط على بعض مقاطع الكلام فإن بعضهم لاحظ أثره فى تطويل بعض حركات الكلام ويسميه ابن جني :(مطل الحركات) فيقول :" وحكى القراء عنهم : "أكلت لحم شاه" أراد لحم شاة فمطل الفتحة وأنشأ عنها ألفا (2) .

وإذا كان النحويون والمقرئون لم يذكروا النغمة ولاالضغط أصلا فإن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا الى مايشبه النغمة ، كالوقف والسكتة وهذا كفيل على وجود واستشعار العرب بظاهرة التنغيم .

وبما أن اللغة العربية وصلت الينا مكتوبة ،وبكتابتها فقدت عنصر الحياة والأمر الذي شكل صعوبة أمام الدراسين المحدثين حين أرادوا تصور التنغيم فى لغتنا الفصحى قديما وبات الأمر سهلا فى تصوره فى بعض النماذج من لغتنا المعاصرة .

ولهذا إذا أردنا أن نبحث عن قاعدة تبين وجود التنغيم وتتحكم فى مواضعه وفق ما يتطلبه التنغيم فى لغتنا العربية الفصحى ،فلن نظفر بشئ ،وعدم وجود قاعدة محددة أمر لايمتع وجوده كحقيقة نطقية فى أقوال العرب القدامى وفق تراثنا اللغوي .

ولهذا اردنا أن نبحث عن قاعدة بين وجود التنغيم وتتحكم فى مواضعه وفق مايتطلبه التنغيم فى لغتنا العربية الفصحى ،فلن نظفر شئ ،وعدم وجود قاعدة محددة أمر لايمنع وجوده كحقيقة نطقية في أقوال العرب القدامى وفي تراثنا اللغوى.

ويكفي أن نسوق قصة أوردها السيوطي في الأشباه والنظائر (3) يقول حاكيا :

" حدثنا المرزباني عن ابراهيم بن اسماعيل الكاتب قال : سأل اليزيدي الكسائى بحضرة الرشيد فقال : انظر فى هذا الشعر عيب ؟ وأنشده ...

لايكـــون العيـــر مهـــرا لايكـــون المهـــر مهـــــر

---

1 - ابـــن منـظـــور ، لســـان العـــرب ، ادة (نبر)

2 - ابن جني . الخصائص . تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب المصرية 1957 ، ج : 3 . ص 123 - 129 .

3 - السيوطي . الأشبـــاه و النظـــائر ، حيـــدة أبـــــاد 1395 ج : 3 ص 245 .

فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدى انظر فيه .فقال أقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان ،فضرب اليزيدى بقلنسوتة الأرض وقال :أنا أبو محمد.. الشعر صواب انما ابتدأ فقال المهر مهر (1) .

لقد رآى الكسائي أقواء ورادا فى رفع كلمة "مهر" فالصواب نصبها باعتبارها خبرا لكان فى رأيه ولم يفطن لما رآه اليزيدى الذى استخدم شيئا جديدا في تفسير البيت وهو السكتة والوقفة أو التنغيم الذي جعل جملة (لايكون) التي ضغط عليها حين النطق وأخذت مطا صوتيا لم يعهد لها بعيدا عن هذا السياق .لا صلة بينهما وبين ما بعد فهي توكيد لما قبلها من حديث والإقواء عيب نحوي لاموسيقى لأن مراد الشاعر ومطلبه الدائم هو الحفاظ على العنصر الموسيقى ونغمته وان ضحى في مقابل ذلك ببعض القيم النحوية والصرفية وهو شئ مرخص من أجل سلامة الوزن اذ يجوز فى الشعر ما لايجوز فى غيره .

ولنا اشارات ذكية أخرى تلمح ببعض آثاره فى الكلام للدلالة على معانية المختلفة دون تصريح نلمسها عند ابن جنى الذى التفت اليها حين قال :

"وقد حذفت الصفة ،ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم :سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هذا إنماحذفت الصفة لما دل من الحال على موضعها ،وذلك أنك تحس فى كلام القائل بذلك من التطويح و التطريح والتعظيم أو ما يقوم مقام قوله طويل ، أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته ، وذلك أن تكون في مدح انسان و الثناء عليه فتقول كان و الله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة وتتمكن من تمطيط اللام وفي اطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا وكريما . ونحو ذلك وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انسانا وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك انسانا سمحا ، أو جوادا أو نحو ذلك ...

وكذلك اذا ذممته ووصفته بالضيق فقلت سألناه وكان انسانا ! وتزوى وجهك

---

1 - نفسه . ص 245 .

وتغطيه فيغني ذلك عن قولك : انسانا أو مبخلا أو نحو ذلك [1] .

ويمكننا من خلال تحليل هذا النص أن نقف عند تلميحات عدة بقصد التنغيم منها :

إشارته لمصطلح (الحذف) في الكلام لقرينة حالية تستدعيها ظروف الكلام ومقامه وهو مايعرف بسياق الحال .

ورود مصطلحات صوتية توحي لغة بمعنى التنغيم منها : التطويح، التطريح ، التفخيم ، التعظيم .

واذا بحثنا عن مدلول المصطلحات لغة نجد أن التطويح من (طوح الشئ اذا طوله ورفعه والذهاب بالشئ من هنا وهناك ؛وتطويل الشئ ونقله ورفعه لذا ماتعلق الأمر بالصوت دلالة قاطعة على اختلاف درجاته التى تتحكم فى نغماته وتشكل بمجموعها ما يسمى بالتنغيم " كما رأينا .

كما أن التطريح :من طرح الشئ إذا طوله ورفعه وأعلاه وما التفخيم الا ظاهرة صوتية تحدث من حركات عضوية تغير من شكل الفراغات بالقدر الذى يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة كما يقول تمام حسان [2] ومايلاحظ أيضا أن نص ابن جني يعكس وظيفة التنغيم في الاستعمال اللغوي والتي تتمثل في التعبير عن الانفعالات والتأثر كالفرح والسرور والغضب والحزن .وأنه أضحى من دلائل فهم الصفة ،هي باب نحوى حيث عبر ابن جني عن ذلك في تمطيط اللام وزوي الوجه وتقطيبه وكلها من المظاهر التي يستخدم فيها التنغيم كوسيلة لفهمها.

واذا كان التنغيم يقوم بدور وظيفي في بعض اللغات التنغيمية كالصينية واليابانية والنرويجية والسويدية وبعض اللغات الافريقية حيث يستخدم كوسيلة للتعبير على معان مختلفة كالاستفهام والطلب وحالات الغضب والرضا والدهشة والتعجب فإن قدماء العربية لم يهتموا بتسجيل ظاهرة التتنغيم لأنه لم يتسبب في تغيير المعني[3] .

إلاأن ابن جني قد تفطن الى ذلك ولعل هذا النص الفريد كاف للرد على برجستراسر أن لانص نستند عليه في معرفة كيف حال العربية في هذا الشأن. ومع

---

1 - الخصائص . ج : 270 1 272 .

2 - مناهج البحث في اللغة . ص 90 .

3 - دراسة الصوت اللغوي . ص 307 .

اعترافنا بفطنة ابن جني وأها التجويد لظاهرة التنغيم إلاانه ينفي نفيا قاطعا الدور التميزي [1] في شأن اللغة العربية من قبل بعض الدارسين وتعليلنا عن ذلك هوبعد المنهج الذي استخدمه الأوائل في النحو والدراسات الصوتية حيث اعتمدوا المنهج التعليلي الذي يعتمد على الفرض والتأويل في الدراسات النحوية والمنهج الوصفي الذي يعتمد على ماهو واقع بعيدا عن الفرض والتأويل الأمر الذي أبعد التنغيم عن خدمة النحو وفهم القضايا قديما ولم نعثر على قاعدة تدل عليه .

ومع إيماننا بهذا التعليل المنهجي فإننا نجزم بأن ابن جني لم يكن وحده من قال بظاهرة التنغيم فهناك الكثير من القضايا الصرفية والنحوية التي بنيت على اساس التنغيم ولم تفهم بدونه .

ففي معالجة سيبويه لموضوع (الاشباع) [2]وهو تقوية الصوت في المجهور واضعافه في المهموس والذي دعاه ابن جنى (مطل الحركات) [3]فهم واستيعاب لمسألة الضغط على حركات الكلمة لتطول كميتها الصوتية فتصبح الكسرة ياء ،والضمة واوا، والفتحة ألفا .

يقول ابن جنى :

وذلك قولهم : عند التذكر مع الفتحة في قمتا :،مع الكسرة أنتى أي أنت ومع الضمة قمتو: فى قمت ونحو ذلك .

فالفتحة متى أشبعت صارت ألفاوالكسرة متى أشبعت صارت ياء والضمة متى أشبعت صارت واوا. [4]، فالاشباع عنصر موسيقي في الكلام يحدث نغمة قد تطول وقد تقصر ويقول ابن جني:

---

1 - هذا الرأي قام بمسايرته بعض الدارسين حيث راؤا أن النبر لم يحط باهتمام علماء العرب الأولين . راجع : محاضرات في اللغة للدكتور عبد الرحمان أيوب ص 145 .

2 - سيبويه . الكتاب . تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977. . ج 43 ص 202 - 129 .

3 - الخصائص . ج 3 ص 123 - 129 .

4 - ابن جنبي . سر صناعة الأعراب . تحقيق مصطفى السقا وزملاؤه . ط : 1 مصر مطبعة البابي الحلبي . ج : 1 ص 20 .

كما أن ايثارهم الاعراب على المجاورة لايخرج عن كونه داعياموسيقيا اقتضى المناسبة بين المتجاورين فأغنت عندهم قرينة التبعية وهي معنوية عن قرينة التعبية وهي معنوية عن قرينة المطابقة في العلامة الاعرابيةوهي علامة لفظية ولاشك أنها مظهر من مظاهر التنغيم في العربية (1) .

وفي باب الندبة يقول سيبويه :

(اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه فان شئت الحقت في آخر الإسم الألف لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها (2) .

ويقول ابن يعيش صاحب الكتاب المفصل :

اعلم أن المندوب مدعو ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع فأنت تدعوه وان كنت تعلم أنه لايستجيب كما ندعو المستغاث به ، وان كان بحيث لايسمع كأنه تعده حاضرا وأكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن وقيمة صبرهن ولما كان مدعوا بحيث لايسمع أتوا في أوله (بيا أو وا) لمد الصوت ولما كان يسلك في الندبة و النوح مذهب التطريب زادوا الألف ،آخرا ،للترنم . (3)

ويقول في حرف الندبة : (وأما وا) فمختص به الندبة لأن الندبة تفجع وحزن و المراد رفع الصوت ومده لإسماع جميع الحاضرين (4) .

وواضح من هذه النصوص أن الترنم ومد الصوت و التطريب كلهما مصطلحات دالة على التنغيم ، لأن الندبة نداء موجه للمتفجع عليه أو من المتوجع منه و الغرض منها الأعلام بعظمة المندوب واظهار أهميته أو شدته أو العجز عن احتمال مابه (5)

ومن المندوب وحرف النداء يتألف أسلوب الندبة الاصطلاحية قالت الخنساء (و اصخراه).

---

1 - تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979 . ص 234 .

2 - الكتاب . ج 1 ص 321 .

3 - ابن يعيش . شرح مفصل الزمخشرى . عالم الكتب ، بيروت . مكتبة المتنبي . القاهرة . ج : 2 ص13 .

4 - نفسه 120 .

5 - عباس حسن ، النحو الوافي . ط3 - دار المعارف - مصر . ج 4 ، ص 89 .

ونادت جارية (وامعتصماه) وقد اهتم الشعراء بهذا النوع من الأساليب لإظهار الفجيعة الحكمية، نذكر قول المعري :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

أتـــذاكر معـــــي ؟

فهذه الجمل تحمل سكتة واحدة في النهاية يقف عندها الناطق دفعة واحدة غير منغم لها تنغيم الشرط .

وقد يحل التنغيم محل الشرط ويكون دليلا وقائما مقامه، يقول أحد الشعراء :

فطلقهـا فلسـت لهـا بكـــفء وإلا يعـل مفـرقـك الحسام

نجد النحاة يقدرون جملة محذوفة من جملة الشرط وإن لم تطلقها يعل مفرقك الحسام وأرى أن الضغط على (إلا) وتلوينها أمرا كافيا كفاية أداة الشرط وجملته وناهيك أن المد النطقي وراء « لو »

« ولما » يشير فضول الدارس للحكم على أن التنغيم يمكن أن يكون وسيلة من بين الوسائل لهم أسلوب الشرط.

وفي أسلوب التعجب يقول صاحب شرح التصريح :

في الصيغة السماعية (لله درّه فارسا »

« وانما لم يبوب لها في النحو لأنها لم تدل على التعجب بالوضع بل بالقرينة » (1) .

وهنا نتساءل هل القرينة أمر آخر غير ملابسات المقام و المقال). و المقال في رأي الدارسين المحدثين صورة نغيمة تؤكد أن المراد به الكلام التعجبي وليس أمرا آخر .

وأن جملة التعجب (سبحان الله) قد يقصد بها التقرير حين يذكر الإنسان اللـــه و لكنها تصبح تعجبه إذا كانت في أسلوب يشير الدهشة و الإفتعال كأن يقول : سبحان الله ياأخي ! وأثر عن الرسول (ص) هذا الإنفعال :

سبحان الله إن المؤمن لاينجس حيا أو ميتا .

وفي أسلوب التوكيد اللفظي نقف على شواهد كثيرة في شعرنا العربي توحي

---

1 - خالد الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، ج2 ، ص 26 .

بالتنغيم وتتخذه وسيلة للفهم .

ففي قول الشاعر :

لا لاأبـوح بحـب بثنة ... إنها أخذت علي مواثقا وعهـودا

فالشاعر قال (لا) جوابا للسؤال ثم أعقب جوابه بسكتة وبدأ كلاما مستأنفا وبدأ كلاما مستأنفا يتصدره النفي قائلا فيه : لاأبوح بحب بثنة إنها :

وقد يعبر التنغيم بدلا عن أداة الاستفهام ويحل محلها ، ففي نماذج من شعر عمر بن أبي ربيعة الغزلي نراه يعتمد النغمة بدلا من أداة الاستفهام:

أبروزهـا مثـل المها تهـادى بيـن خمـس كواكـب أتـراب

ثـم قالوا :تحبهـا قلت بهرا عـدد النجم والحصا والتـراب

فالاستفهام هنا ملحوظ من خلال تنغيم جملة (تحبها) والضغط عليها ضغطا يؤكد ذلك الاستفهام .

وهكذا نجدأن النماذج التي تعبر عن الانماط التنغيمية كثيرة ولعل توزيع المراد الاستفهامي إلى معان أخرى كان يدل الاستفهام على الانكار أو على التوبيخ أوعلى النفي يرجع إلى الاختلاف التنغيمي بين أنماط هذه الجمل [1] .

ومانستنتجه من هذه الدراسة المتواضعة:

أن التنغيم من الفونيمات الصوتية التى تنتمى إلى مافوق التركيب تمييزا له عن الفونيمات المكونة لبنية الكلمة ويتحكم فيه الأداء وهو لذلك لامعنى له فى ذاته وانما يكتسب مع غيره من الفونيمات دلالة رمزية اعتباطية.

أن التنغيم يعطى دلالة صوتية دالة على الانفعال والتأثير يظهر عند الناطق في أية لغة فيعبر عن غضبه، وفرحه، وسروره ،وهدوء ،وانفعاله .

أن التنغيم ذوملمح تميزى تفهم على أساسه كثير من الابواب النحوية كالنداء والندبة والتعجب والاستفهام والشرط .

ولم تتوقف وظيفة التنغيم فى فهم بعض قضايا النحو فحسب، بل تتجاوزها إلى

---

1 - راجع : ماكتبه كمال بشر في كتابه . عالم اللغة ، وتمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها . وخاصة في حديث عن الظاهرة الموقعية المسماة بالتنغيم و المتعلقة بالجمل التأثيرية و الإنفعالية . ص 244 .

إحلال التنغيم محل بعض الادوات التى تربط الاساليب فى الجمل كالاستفهام والشرط ، و التعجب.

فواعجباكم يدعى الفضل ناقص وواأسفاكم يظهر النقص كامل

وقول المتنبى :

واحر قلباه ممن قلبه بشم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

فاستخدم الندبة ليستعطف ممدوحه ليظهرأن قلبه يحترف حبا وهياما وأن يعتل جسمه في ايجاز شديد كاشف عن موقف سيف الدولة وعظمته وقوته التي تجلت فى قلب بارد فى صيغة نغسية جاءت فى (وا) .

هذا وللتنغيم دور ليس بالهين فى فهم كثير من الاساليب التى تدل على الانفعال والتأثر وتعبر عن حالات الرضا والغضب والدهشة ،فضلا من فهم كثير من الابواب النحوية كالتوكيد والتعجب ويمكننا ملاحظة تنوع التنغيم في ارتفاع درجة نغماته بين الانخفاض والارتفاع في مثل هذه الأساليب

فعبارة التحية التي تلقى (صباح الخير)و(مساء الخير)من الرئيس إلى المرؤوس ومن الإبن إلى الأب ومن الزميل إلى الزميل ،إذا لاحظنا إلقاءها نجد أن الموقف ونوع العلاقة يلعبان دورا هاما فى تنغيم هذه التحية تسفر عنها حالات الغضب والحزن والصداقة والحب والاحترام .

كما نجد أسلوب الشرط يخضع فى كثير من قضاياه للعنصر التنغيمي ، فالسكتة التي توجد بين فعل الشرط وجزاءه تدل على وضوح نغمى يحدد المراد من الكلام لأنه تمام الفائدة فى أسلوب الشرط ،فالاسلوب دونه ناقص محتاج اليه وتختلف هذه النغمة فى أساليب الشرط من حيث الزمن الذي تستغرقه . فزمن النغمة أو السكتة الفاصلة بين فعل الشرط وجوابه المقترن بالفاء يكون أسرع إذا كان الجواب مقترنا بالفاء .

يقول زهير بن أبى سلمى :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

من يذاكر فالنجاح حليفه

فربط الفاء يستوجب اسراعا ،كما تختلف السكتة والنغمة في أسلوب الشرط وأسلوب الاستفهام

أن التنغيم قد ادرك اجمالا عند القدماء مما جعلهم يتركون دلالات نحوية تنبئ عنه مصطلحات اتخذت معاني مختلفة للتعبير عنه مثل:

السكتة والوقفة ،والنغمة ،والتطويح ،والتطريح ،و التفخيم ،والتعظيم والترنم ،والتطريب .وهو إن لم يكن قرين الرؤية القديمة للغة العربية وفهم نحوها ففي هذا عذر يذهب عن القدماء مظنة التقصير لأننا ألفينا من كان يلمح بتواجده دون أن يصرح

أن هناك أساليب فصاحة أخرى يمكن فهمها من خلال الظاهرة الصوتية المسماة بالتنغيم كأساليب المدح والذم والاستثناء والقسم.

أن التغيم يتحكم فى المشافهة التى هى قوام اللغة وأساس اعتمادها. ومن هنا حق للدراسين المحدثين أن ينطروا إلى هذه الظاهرة نظرة فونيمية تتعدى التركيب الظاهرى لتكون مفهومها أو فكرة يتحقق وجودها بالنطق الفعلى والأداء وهى الحقيقة التى لايمكن لاحد انكارها .ومن الأسلم ألايحاول المرء وضع قانون صارم يحدد طريقة النطق كما قال مارباي .